القَرْعُ والخزف

ما غادرَ الشعراء من متردَّمٍ ولا ترك الباحثون عن اصل العمران موضوعًا الّا طرقوهُ عساهم ان يُثبتوا ما اغفلهُ التاريخ و يعلموا ما جهلهُ الاقدمون . ولا مشاحَّة في ان صناعة الخزف مرتبطة باول تاريخ العمران وان الناس تدرَّجوا اليها تدريجًا كما تدرَّجوا الى غيرها من الصنائع . الّا انهُ لم يبحث احدٌ بحثًا وافيًا في هذا الموضوع على ما نعلم حتى قام العلّامة غرانت الن وارتأى رأيًا بديعًا في اصل صناعة الخزف اثبتهُ في جريدة العلم العام الاميركيَّة وسيأتي تفصيل رأيهِ في هذه المقالة

القرع نبات معروف واثمارهُ على اشكال كثيرة بعضها كالقنّاني و بعضها كالقال و بعضها كالدوارق و بعضها كالاباريق . وهو والبقطين والقثاء والخيار والكوسا والبطيخ والشمام من نوع واحد وكلها سنوية اي انها تنبت وتزهر وتثمر وتيبس في سنة واحدة . ونموها ولاسيما نمو القرع والبقطين سريع جدًّا حتى ضُرب بهِ المثل . والقرع متعرِّش يتسلَّق الاشجار و يستند عليها . وعيشة التعرُّش هذه بين طوائف النبات مثل عيشة "المحسوبيَّة" بين طوائف الناس فان النبات المتعرش لا يضطر ان يجعل لنفسهِ ساقًا خشبيَّة تقيهِ من عواصف الرياح وتقلبات الانواء. وهذا شأن "المحاسيب" الذين يعتمدون على امير او وزير فانهم لا يهتمون بالاعتماد على انفسهم ولا يعوّلون عليها

والقرع يسلك بما يتعرش بهِ بسلوك متينة وهذا السلوك تحرك من نفسها وتلمّس كما يتلمس الاعمى في الظلام حتى تصيب قضيبًا او غصنًا فتتعلق بهِ باصابعها لان لها فروعًا كالاصابع وتمسك بهِ مسكة الاعمى ولا يزال النبات يرتقي على الشجرة التي سندتهُ حتى يغطيها باغصانهِ واوراقهِ ويمنع عنها النور ويجزيها كما جوزي ستمّارُ

ويزهر القرع عالمًا يذخر ما يكفي من الغذاء لحياة ازهارهِ واثمارهِ مثل غيرهِ من النباتات السنوية . وناموس التزاوج يعمُّ طوائف النبات كما يعمُّ طوائف الحيوان وهو بيّن في الازهار . وازهار النبات اما ذكور واما اناث واما ذكور واناث معًا والقرع بعض ازهارهِ ذكور و بعضها اناث فالزهرة الذكر كبيرة فيها قلم اصفر في وسطها عليهِ غبار اصفر ناعم هو اللقاح وهذه الزهرة تموت ولا يتولد منها ثمر ونائدتها في اللقاح الذي فيها فان الحشرات التي تقع عليها تحمل هذا اللقاح وتمضي بهِ الى زهرة انثى وتلقحها بهِ . والزهرة الانثى صغيرة فيها قلم منشعب يلصق اللقاح بهِ و يتصل منهُ الى القرعة الصغيرة التي تحت الزهرة تمامًا

تقدّم ان من النبات ما تجتمع فيه اعضاء الذكر والانثى في كل زهرة من ازهاره والظاهر ان الفرع كان كذلك قبلما ارتقى. ثم حدث ان بعض ازهاره ضمنت اعضاء الذكر فيها وبعضها ضمنت اعضاء الانثى فيها فتلقحت الواحدة من الاخرى وبما ان التلقيح المخالف على هذه الصورة يأول الى تقوية النسل قوي نسلها ورسخت هذه الخاصّة فيه بالارث فتغلّب على بقية انواع الفرع فصار الفرع من النباتات التي ذكورها في زهرة واناثها في اخرى. وعلماء الزراعة يعرفون ان التلقيح المخالف افيد للنبات فيأخذون اللقاح من زهرة ويلقحون به اخرى ولو كانت الازهار جامعة لاعضاء الذكر والانثى. وتلقيح النباتات بعضها من بعض معروف مشهور في هذه البلاد في تلقيح اناث النخل من ذكره

ثم ان زهر البطيخ والقثاء والكوسا اصفر لامع قليل الرائحة او عديمها واما زهر الفرع فابيض ناصع طيب الرائحة جدًّا. فلماذا يا ترى خالف الفرع غيرهُ من نباتات فصيلته في لون زهره ورائحته. لا بدَّ لذلك من سبب لان الطبيعة منزهة عن العبث. ثم ان اكثر الازهار البيضاء طيب الرائحة كالفل والياسمين والدانورة. وكثيرًا ما يكون للنوع الواحد من النبات نوعان من الزهر احدهما ابيض طيب الرائحة والآخر ملون لا رائحة له. والسبب الطبيعي لذلك ان الازهار البيضاء يلقحها الفراش الذي يطير ليلاً فترشدهُ اليها بياضها الناصع ورائحتها الطيبة والغالب ان هذه الازهار لا تفتح ولا تعبق رائحتها الاَّ عند المساء اذ لا فائدة من تفتحها وانبعاث رائحتها في النهار. وترى ذلك واضحًا في الفل والياسمين والزنبق وما اشبه من الازهار البيضاء الطيبة الرائحة. فزهر الفرع ابيض طيب الرائحة لانهُ يتلقح بالحشرات الليليَّة

وحينما تتلقح الاناث تذبل ازهارها وتيبس وتشرع اثمارها في النمو السريع ولا بدَّ لنموها هذا من نور كثير وحرارة شديدة ولذلك كان وطن الفرع الاصلي بلاد الهند الحارَّة وانتشر منها الى بقيَّة الاقاليم الاستوائية والقريبة من الاعتدال فبلغ من جهة الجنوب رأس الرجاء الصالح في جنوبي افريقية واما من جهة الشمال فبلغ منهُ صنف واحد ببلاد الانكليز وقد تغيَّر فيها لمناسبة اقليمها فصار محولاً غليظ الجذور وصغرت ثمارهُ حتى صارت كحبوب اللوبياء

وكل نبات يحاول ان ينتشر ويملأ الارض ويستولي عليها كلها ويستخدم لذلك كل واسطة ممكنة له فاذا كانت الطيور تساعدهُ على الانتشار تحبَّب اليها بوسائط مختلفة اغراء لها على حمل بزوره من مكان الى آخر ومساعدته على الانتشار. واذا كانت الحيوانات تساعدهُ على الانتشار اغراها على ذلك بكل طاقته بل قد يغري السيول والرياح اي يوفّق نفسهُ لها تسهيلاً لانتشاره في المسكونة. وقد يحمي نفسهُ من الحيوانات ويستخدم لانتشاره وسائط كريهة ضعيفة فتمر عليه

القرون وهو في دائرة ضيقة مهملاً من الانسان والحيوان مثال ذلك قثّاء الحمار الذي ينبت في بلاد الشام فهو من نوع القرع والشمام ولكنهُ بخيل متن الرائحة يبقى ثمرهُ بلونهِ الاخضر المشابه للون اوراقهِ حتى لا يراهُ الحيوان ولا يقصدهُ من بعيد ولثمرهِ اشواك دقيقة حتى اذا لمسهُ حيوان ابتعد عنهُ من نفسهِ واذا تجاسر حيوان على قطفهِ زرق في وجههِ فخرجت بزورهُ وعصارتهُ وهي كريهة الرائحة . فهذا النبات مثل البخيل المتن الذي لا يفيد احدًا ولا يستفيد من احد . واما بقية انواع القرع فقد علّمتها التجارب ان تحسن الى غيرها فتحسن اليها ولذلك اذا نضجت اثمارها وبلغت بزورها تلوّن ظاهر اثمارها بالوان مختلفة واحبط البزر بلب طيب الطعم والرائحة كما في البطيخ والشمام اغواء للحيوانات لكي تكسر الثمر وتأكل اللب وتفرق البزور فتبعدها عن الارض التي كان النبات مزروعًا فيها اذ قد علمتها التجارب ان تكرار زرع النبات الواحد في الارض الواحدة مضعف للنبات وللارض . والبزور نفسها ليست حلوة الطعم ليرغب الحيوان في اكلها واذا اكلها لم يسطع هضمها لانها محاطة بقشور صلبة . ففي اثمار هذه النباتات من جمال اللون وطيب الطعم ما يغري طوائف الحيوان على نشر بزورها كما ان في زهر القرع من بياض اللون وطيب الرائحة ما يغري الحشرات على تلقيحهِ

وفي نباتات هذه الفصيلة مادّة مرّة سامّة ولكنها لا توزع فيها على السواء ولا تظهر الاّ حيث تكون مفيدة للنبات فهي في قثاء الحمار والحنظل متوزعة في الثمر كلهِ وغايتها ابعاد كل حيوان عنهُ لان هذين النباتين خافا من ان يشاركهما غيرهما في الفائدة فاعتمدا على ان ينشرا بزورهما بانفسهما فتنشق اثمارهما متى يبست وتدفع البزور دفعًا حتى تبعد عن الاصل قاستفادا ولكن جهد المقتر . والخيار يذخر هذه المادّة عند اصل ثمرهِ منعًا للديدان من الدخول اليهِ وقد ينشرها في كل الثمر . والبطيخ تولد فيهِ هذه المادة متى اخذت بزورهُ في التفريخ واما القرع فيوقي من الحيوانات التي لا يستفيد منها بصلابة قشرهِ وهو منتشر في البلاد الحارة حيث تكثر طوائف القرود والقرود لا تعوقها صلابة القشر فتكسرهُ وتأكل اللب وترمي البزور

والظاهر ان البشر رأوا نبات القرع من قديم الزمان وعلموا انهُ اذا يبس جفّ لبهُ وامكن نزعهُ منهُ بسهولة فصار اناء فارغًا فجفّفوهُ واستعملوهُ وعاء للسوائل والحبوب فكانوا يقون فيهِ ماءهم وزيتهم وخمرهم وحبوبهم ولم يزل استعمالهُ لهذه الغايات شائعًا في بلادنا حتى يومنا هذا . ولا يبعد ان شكلهُ كان واحدًا في اول الامر ثم رأى الانسان انهُ يمكن تنوّعهُ قليلاً بحسب ما يضغطهُ وهو في حالة النموّ فجعل يربطهُ من عنقهِ حتى تغير شكلهُ وصارت منهُ الاشكال المعروفة الآن

ثم ان الناس في حال البداوة يخبزون ما دام احياناً باحنائه في قرعة بعد تطيين اسفلها بالطين . فاذا كان الطين لزجاً لصق بالقرعة وابث لاصقاً بها من مرقٍ الى أخرى واذا تكرّر تخبين الماء فيها صلب الطين جداً وفي الآخر تحترق القرعة من داخلها ويبقى الطين اناء خزفياً . فاذا حدث ذلك مرّة بعد أخرى تنوسي السبب الذي وضع الطين لاجله اولاً وحُسب ان الغرض منهُ عمل الاناء الخزفي وان القرعة قالب لهُ . والمرجح ان اول اختراع الخزف كان على هذه الصورة لان كل الآنية الخزفية تشبه القرع في شكلها . ومع انهُ مرّ على استعمال الخزف اكثر من خمسة آلاف سنة لم يزل الخزّافون يتمثلون القرع في اكثر الآنية الخزفية وفي الآنية الزجاجية المشتقة منها كالاباريق والدوارق والجرار والقناني وما اشبه . وفي بعض اشكال الدوارق ثلاثة انتفاخات مثل بعض اشكال القرع الشامي تماماً وما من داعٍ يدعو البشر لعمل هذه الانتفاخات الا اذا اريد بها تمثيل القرع . ويمكن ارجاع جميع انواع الخزف المعروفة الى اشكال القرع الطبيعية . فأصل الخزف طين أُلصق بالقرع لكي يتّقيهُ من الاحتراق ثم صار الطينُ الغايةَ والقرعُ الواسطةَ . وبعد ذلك تقدّمت صناعة الخزف فاستغنت عن القرع ولكن حفظت صورهُ بين اشكالها ذكراً دائماً . هذا هو الرأي الجديد الذي ارتآهُ العلّامة غرانت الن في اصل الخزف

باب تدبير المنزل

قد نخصّ هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

حالة المرأة عند اليونان

بقلم السيدة انيسة صبيغة (تابع ما قبلهُ)

ونظهر ايضاً حالة النساء عند اليونان من الوصف البديع الذي وصفهن بهِ هوميروس ومَن جاء بعدهُ من مصنفي الروايات . ومن اشهر النساء اللواتي ذكرهنَّ هوميروس هيلانة ربّة الجمال التي شبهوا حسنها بضياء الفجر وبهاء النجوم . فهذه المرأة قد سببت هلاك كثيرين بحسنها ولكنهُ كان شافعاً لها فلم يلمها احد . قال لها بريام الذي حلّ البلاء ببيتهِ ومدينتهِ بسببها "لا اللومُ بل اللوم الآلهة الذين اثاروا اليونان علينا واضرموا نار هذه الحرب المشؤومة" فاجابتهُ بقولها "سيدي